

السنة الأولى — ثمن النسخة ١٠ سنتيمات — عدد ١

رئيس تحريرها: السيد ابن المنصور الصنهاجي

الاشتراك: ٨ فرنك في السنة تدفع ... ومن الخارج ١٠ فرنك ...

جريدة عمومية اشتراكية انتقادية

ذو الفقار

تصدر كل يوم احد

يوم الاحد ٤ ذي القعدة ١٣٣١ — ٥ اكتوبر ١٩١٣

DOU-EL-FAKAR. Redacteur en chef : A. ASSANHADJI. Rue Rovigo, 11: 67, ALGER

المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية

د. محمد ناصر

تم البدء في إصدار هذه السلسلة بمناسبة الذكرى الثلاثين للثورة التحريرية

1954 ـ 1984

Scanned by CamScanner

د. محمد ناصر



منشورات وزارة الثقافة والسياحة
مديرية الدراسات التاريخية واحياء التراث: الجزائر

Scanned by CamScanner

هذه الموسوعة التاريخية للشباب تهدف الى تعميم الثقافة التاريخية الوطنية في أوساط الشباب الذي يبدو اليوم أكثر تعطشا للمعرفة عامة وللتاريخ خاصة .

وإن توافق إصدار هذه الموسوعة مع احتفالات الذكرى الثلاثين للثورة التحريرية الكبرى ، لمن شأنه أن يبعث فينا روح التطلع الى مواصلة هذه المسيرة من أجل تحقيق أهداف الثورة كاملة ولأجل بلوغ الغاية القصوى المتمثلة في الثورة الثقافية الشاملة .

د . محمد الطاهر العدواني

الاشراف الفني حسين بروبة

Scanned by CamScanner

1 ــ حياته وثقافته :

ارتبط اسم «عمر راسم» (1884 ـ 1959) في تاريخ النهضة الجزائرية الحديثة ، بمجالات متعددة فقد عرف بمحاولاته الرائدة في انشاء صحافة وطنية ملتزمة ، وتميز بأفكاره الاصلاحية الثورية بما كان ينشره من مقالات نارية حادة ، واشتهر في عالم الفن بخطه العربي المغربي الجميل ، وبرسومه الزخرفية الرائعة . وكان قبل هذا وذاك شعلة متقدة من الوطنية والغيرة ، لاتقف به عند حدود القطر الجزائري أو المغرب العربي ، بل تجاوزت به الى كل البدان المضطهدة بالاستعمار الاستيطاني والاقتصادي .

وهو على الرغم من هذه الميزات المتعددة التي تميز بها من بين رفاقه آنئذ ، وعلى الرغم من الايادي البيضاء التي أسداها الى فن الزخرفة في الجزائر فانه ظل مجهولا لدى كثير من أهل الفكر والثقافة في أيامنا هذه .

Scanned by CamScanner

فقيمة الرجل من ناحية ، وفداحة التنكر لأمثال هؤلاء الر فال من ناحية أخرى ، دفعتاني الى محاولة ، التعرف «بعمر راسم» وتقديمه الى القراء نموذجا حيا من الوطنية الصادقة والعمل الذائب ، والاعتزاز بالشخصية العربية الاسلامية الجزائرية ، فلعل في هذه المحاولة شيء قليل من الوفاء والاعتراف بالجميل .

والحق اني كنت في حيرة من أمري ، وأنا أعد العدة للكتابة عنه ، فمعالجة كل هذه الجوانب الثرية من شخصية «راسم» تتطلب مادة واسعة ، ووقتا فسيحا ، بل أن هذا التنوع نفسه ، هو الذي جعلني أتهيب هذه الشخصية مخافة أن أظلمها في هذا الجانب أو ذاك . ومهما يكن من أمر ... فاني سأوحاول في هذه العجالة أن أتناول البحث عنه في كل الجوانب على النحو التالي : 1) حياته وثقافته ، 2) راسم وقضايا الاصلاح الاجتماعي ، 3) راسم وقضايا الاستعمار والصهيونية . 4) راسم وقضايا الفن 5) أسلوبه . فمن هو عمر راسم ؟ هو عمر راسم بن علي بن سعيد بن محمد البجائي ، يتصل نسبة بصنهاجة ، ولد بالجزائر (العاصمة) يوم الثلاثاء 5 ربيع الأول سنة (1302) هجرية الموافق لسنة (1884) ميلادية .

Scanned by CamScanner

أدخله والده كتاب بابا عثمان بالعاصمة ، وأظهر تفوقا ونجابة لفتت أنظار معلميه اليه ، فقد أتم حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة من عمر ، ولحفظه الجيد وأدائه الدقيق عينه الشيخ المفتي «بوقندورة» حزابا بمسجد «سفير» وهو في الثانية عشرة من عمره .

وعلى الرغم من أن تعلمه اقتصر على بعض الدروس القليلة في النحو تلقاها عن الشيخ محمد بن المصطفى (مضربة) (1865 ـ 1915) في مسجد «سفير» وسنة قضاها بالمدرسة الثعالبية ، ودروس في اللغة الفرنسية عند مدرسة الشيخ فاتح ، فانه استطاع بارادته القوية التي كان يتحلى بها دوما ، أن يعوض هذا النقص ، وذلك الانقطاع ، بانكبابه على المطالعة باللغتين العربية والفرنسية ، ولاسيما في تلك الفترة التي قضاها في الزنزانة رقم (40) من سجن « بربروس » ما بين سنة (1915 ـ 1921) (1) .

---

(1) هنالك اختلاف في سنة خروجه من السجن ، فابن العابد الجيلالي في تقويم الاخلاق يقول انه خرج في (1921) أما السيد جمال الدين سفينجة ـ وهو من أقرباء راسم ـ فيقول انه خرج في سنة (1923) .

Scanned by CamScanner

حتى اذا كانت سنة (1898) – وسن « عمر راسم » اذ ذاك أربع عشرة سنة – وقع حادث « ماكس ريجيس » (1) الشهير مع اليهود ، دفعه اهتمامه الشديد بهذا الحادث – لعدائه وكرهه الشديدين لليهود والصهيونية بصفة عامة – الى تتبع مجريات وقائعه في الصحف ، وهكذا ارتبط فكره بالتطورات السياسية في العالم ، ووجد لذة كبرى في تتبعها ، ولم يقف عند هذا الحد . ففي سنة (1909) راح يشارك بقلمه بفصول نشرها في جريدة « المرشد » و « مرشد الأمة » التونسيتين ، تناول فيهما موضوع الصهيونية في العالم بعامة وفي الجزائر بصفة خاصة ، وراح يدعو الى مقاومة هذا الداء ، بصراحة عجيبة ، وتحليل يمتاز بالعمق وبعد الرؤية ؛ كما سنبين ذلك في محله . ومن ثم أدرك حاجة القطر الجزائري الاكيدة الى صحافة وطنية نزيهة تقاوم النزعة الاستعمارية وتطالب بحقوق المسلمين الجزائريين ، كما تحارب في الوقت نفسه كل النزعات الانتفاعية التي تفرق بين الجزائريين .

(1) ماكس ريجيس : أحد الفرنسيين الذين وقفوا أمام مشروع كريميو وهذا الاخير اغتنم فرصة وجوده في لجنة الدفاع الوطني فاستصدر قانونا يقضي «بأن اليهود الموجودين في الجزائر في أراض خاضعة للسلطة المدنية يعتبرون وطنيين فرنسيين لهم كل الحقوق . وكان هذا في سنة (1870) ولا يخفى ما في اعطائهم هذا الحق من نفوذ وقوة » .

Scanned by CamScanner

« فعقد العزم على اصدار جريدة باسم « الاصلاح »
يستعين بها على نشر أفكاره وبث ارائه الاصلاحية ، غير
ان العجز المادي وقف به دون تنفيذ هذا الغرض السامي . »(1)
وفي سنة (1908» أصدر مجلة « الجزائر» التي تعد أول
مجلة عربية يصدرها جزائري ، ولم يظهر منها الى الوجود سوى
عددين ، ثم توقفت أمام العقبات المادية ، وفقدان
المطابع (2) وفي فيفري سنة (1913) راح يمد يد المساعدة
عمر بن قدور الجزائري « ليؤسسا معا جريدة « الفاروق » التي
تخلصت فيما بعد لابن قدور(3).

وأخيرا أنصرف ـ بعد هذه المحاولات ـ الى انشاء
جريدة « ذو الفقار» وكان ذلك في أكتوبر سنة (1913) تحت
اسم مستعار هو « ابن المنصور الصنهاجي » وتعد جهوده العظيمة
في انشائها بدعا في تاريخ الصحافة الجزائرية ، اذ كان
يتحمل « عمر راسم » عبء تحرير فصولها ، ورسم صورها ،
وطبعها على المطبعة الحجرية ، وتوزيعها وتمويلها (4) وقد اتخذ

(1) محمد بن العابد الجيلالي ، تقويم الاخلاق، (يناير 1927) ص : 47.

(2) انظر محمد ناصر ، الصحف العربية الجزائرية (1847 ـ 1930) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 .

(3) و (4) انظر محمد ناصر ، الصحف العربية الجزائرية (1847 ـ 1930) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 .

Scanned by CamScanner

هذه الجريدة ليصلح بها الأوضاع الاجتماعية المتدهورة ، ويدعو فيها الى الاصلاح على الطريقة « العبدوية » ولكنه كان يحتد في أسلوبه احتدادا لافتا للنظر ، مما جعل أصدقاءه ينصحونه بالتخفيف من لهجته تلك ، فلم يحفل بنصحهم بناء على أنه توقى شر المسؤولية بجعله الجريدة باسم عالمين جليلين احدهما سياسي هو (م . هنري الروشفور)(1) والآخر ديني وهو الامام (محمد عبده) .

ويبدو انه لهذا السبب عينه أوقفها الاستعمار متعللا بقيام الحرب العالمية ، فقد عرف «الروشفور» بنزعته الثورية كما عرف عبده بمذهبه الاصلاحي . وكلا المذهبين لا يرتضيهما الاستعمار الفرنسي الذي يريد أن تبقى الامة الجزائرية متخبطة أبدا في التخلف والفقر ، وفي غيبوبة الشطحات الصوفية وشعوذات الطرق المنحرفة .

لهذا لم يصدر من «ذو الفقار» سوى أربعة أعداد توقفت بعدها الى الأبد . واذا كانت مجهودات «راسم» العملية في ميدان الصحافة قد باءت جلها بالفشل فان قلمة الثائر الصريح لم يعرف الفشل أو النفاق يوما . فقد كان يشارك به في صحف عربية وفرنسية كثيرة نذكر منها على سبيل المثال :

(1) هنرى الروشفور . ذئب في البرلمان الفرنسي معروف بنزعته الثورية ، كان معاديا للصهيونية ، وكان عمر راسم يعجب به لمواقفه تلك .

Scanned by CamScanner

«الحق الوهراني» (1912) «المرشد» «ومرشد الأمة» (تونس 1909) «النجاح (1939) «المباحث» (تونس 1944) «السعادة» (المغرب 1944) «هنا الجزائر» (1954 ـ 1957) .

وعندما اندلعت الحرب العالمية زج به في السجن المضيق حيث بقي حتى سنة (1921) ويبدو أن ما لاقاه في السجن من عذاب نفسي أثر عليه أيما تأثير وما من شك في ان ما رآه من صنوف القهر في سجن «باربروس» في الزنزانة رقم (40) اثرت كثيرا في نفسه وتركت اخاديد من الالم في اعماقه ولا ادل على ذلك من رسالة عثرنا عليها ضمن اوراقه كان توجه بها الى اخيه محمد وهي مؤرخة في سنة (1919) ومما جاء في هذه الرسالة المكتوبة باللغة الفرنسية ، «اني الآن اعيش الفترة الأكثر صعوبة في حياتي ، ان اللحظة التي استطيع فيها التنفس لم تحن بعد . فهل استطيع تحمل هذه الوضعية التي لاتطاق ، هل استطيع العيش في هذه المحنة القاسية ؟ لمن اتوجه ؟ لمن أشكو ؟ حتى البكاء الذي سيخفف عني لا استطيعه ، لأن ذلك يجب ان يكون بعد اذن . هيهات ان المنية لا تريدني ، اذ ان دنوها هو مطلبي ، وسعادتي ، ولكن السعادة محرمة على دائما . (1)

(1) فقرات من رسالة كتبها في سجن باربروس في سنة (1919) مترجمة بتصرف .

Scanned by CamScanner

وهكذا تغيرت نظرة راسم الى الحياة والى الناس ، أصبحت تستبد به نزعة تشاؤميه حادة فقد انصرف بعد خروجه منه الى الحياة الفنية ، وأعطى نفسه للخط والرسم . وبرز في هذا المجال ايما تبريز ففي سنة (1931) انشأت بالعاصمة مدرسة لتعليم فن التصوير والزخرفة العربية والشرقية فاختير هو وأخوه محمد راسم ليدرسا فيها الخط العربي والزخرفة والمنمنمات ، فباشرا التعليم فيها ، وتخرجت على يدهما نخبة من شباب الفن المجيدين . (1) على النحو الذي سنفصله فيما بعد .

ولم يزل عمر راسم بين استاذيته للرسم ، ومقالاته في الصحف وأحاديثه في الاذاعة الى أن توفاه الله بعد مرض خطير عذبه طويلا ـ وذلك يوم الجمعة 3 فيفري من سنة 1959 عن عمر بلغ خمسة وسبعين عاما كله عمل وانتاج ، ودفن بمقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالعاصمة يشيعه جمهور غفير من محبي فنه ، وعارفي فضله .

2 ـ عمر راسم وقضايا الاصلاح الاجتماعي :

نحسب أن عمر راسم أول صحفي جزائري يرفع القلم داعيا الى الاصلاح الديني في حماس متوقد ، وجرأة

(1) انظر هنا الجزائر ، ع : 74 ، مارس 1959 .

Scanned by CamScanner

عجيبة ، وفهم عميق لرسالته تلك ، ميزته عن غيره من رجال الاصلاح آنئذ ، فقد كان عبدويا مخلصا ، آمن بدعوة الشيخ محمد عبده الايمان كله (1) وعمل في سبيل نشر أفكاره الاصلاحية في الجزائر بحرارة ، ولا أدل على تحمسه ، ذاك من اعتناقه لمبادىء الاستاذ الامام وهو ما يزال طالبا في مقتبل العمر يزاول تعلمه بالمدرسة الثعالبية ، فقد انتصر لآراء عبده وتحمس لها مما أغضب بعض المشائخ الجامدين عليه فطردوه من المدرسة .

وعندما أصدر جريدته «ذو الفقار» اعتبر الشيخ عبده مديرا دينيا لها ، وقد جاء في عددها الأول : «ذو الفقار جريدة عبدوية اصلاحية ، وانهالا تخرج عن الطريقة التي خطها رجال الاصلاح المخلصين» . كما حلى غلاف العدد الثالث منها بصورة «عبده» التي رسمها بريشته المبدعة ، مشيرا الى أن الشيخ عبده كان يحارب أصحاب العمائم الجامدين ، أما هو فسيقاوم أبناء المرابطين (الطرقين) وأصحاب «الردنجوت» (المعطف الطويل ويريد به المتفرنسين) ولعل أول الجرائد اعتناقا لمبادىء «راسم» الاصلاحية في الجزائر هي جريدة «الحق الوهراني» (1912) اذ عرفت

(1) على انه خالفه في بعض الآراء السياسية كما سنبين ذلك فيما بعد .

Scanned by CamScanner

بنزعتها الاسلامية ، ودفاعها عن حقوق الاهالي الجزائريين . وان في ارتباط «راسم» بهذه الجريدة ما يكشف عن نزعتها تلك (1) .

ويبدو «راسم» في اصلاحه واعيا بدعوته ، عميقا في نظرته ، اذ كان كثير التركيز في مقالاته على الناحية الاجتماعية محاربا كل النزعات الفردية الانانية . داعيا الى التمسك بمقومات الشخصية العربية الاسلامية الجزائرية دينا ولغة ، وتراثا . ايمانا منه بأن الجزائريين لن يستردوا حقوقهم المغتصبة ، ما لم يتمسكوا بمقوماتهم ، وما لم يعتمدوا على انفسهم في بناء نهضتهم . ومن هنا نجده يندد دائما بنزعات التفسخ والانحلال لدى الشباب المتفرنس . ونزعات التقليد والجمود لدا المشائخ المتزمتين ، ونزعات الانتفاع والمصلحة الشخصية لدى بعض الاغنياء الانانيين .

ومنذ البداية يتضح موقفه أمام القارىء حيث نلقاه في مقال له نشره في سنة (1912) في جريدة «الحق الوهراني» ـ منتقدا في صراحة مجلجلة كل الطوائف المنحرفة ، كاشفا اياهم للشعب الجزائري حتى لا يغتر أو

---

(1) انظر : محمد ناصر ، المقالة الصحفية الجزائرية (1900 ـ 1930) . ش . و. ن . ت ، 1978 . من اجل تفاصيل اكثر.

Scanned by CamScanner

ينساق . مبرزا ما بين هؤلاء وبين الاستعمار من صلة ليتفادى حيلهم ، وليتمرد على سلطاتهم .

« مامن بلاء نزل من السماء الا من أولئك الذين شقوا عصى الامة المحمدية ، وما من شقاء طلع من الأرض الرمضاء ، الا من المتبرئين من الشريعة الحنيفية ، وما من ألم حل ببلادنا الا من أولئك الحشرات الذين ملأت بهم الأرض فانسابوا بين أهل الايمان كأفاعى سجستان ، عادوا بلادهم ، وخربوا ديارهم ، وخانوا ملتهم باسم المدنية والاصلاح ، الا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون .. »(1)

ومن مقاله هذا يبدو جليا بأنه حين يهاجم هذه الطائفة ، انما يهاجمهم لأنهم أصبحوا خطرا على المسلمين الجزائريين لما يدعونهم اليه من أخذ الحقوق السياسية عن طريق التفرنج والاندماج في العنصر الغالب ، وهو يشير اليهم غالبا بقوله » اولئك الذين تخلقوا بمفاسد التمدن الحديث ، وشرور الحضارة الجديدة » (2) .

ويوضح راسم أن نزعتهم الانانية لا تقل جرما وفظاعة عن دعوتهم تلك ، لأنهم يرتضون سياسة المداجاة والنفاق

(1) نصيحة الاخ ، ودعوة الاصلاح ، الحق الوهراني ، 44 ، (11/ 1912/3) .

(2) م . س .

Scanned by CamScanner

مع الاستعمار لقاء ما ملأبه أفواههم من دنانير فلم يستطيعوا تكلما ، وأثقل صدورهم بالنياشين المزيفة فطأطأوا له رؤسهم .

ويبدو أنه كان يعني بهؤلاء الذين حمل عليهم هذه المنكرة ، طائفة الشباب المثقف بالفرنسية والذين كانوا يسمون أنفسهم «النخبة» ، فانه كان بينهم وبين رجال الاصلاح الاسلامي صراع مرير ، فبينما كان هؤلاء يريدون اصلاحا على أساس عربي اسلامي كان «النخبة» معجبين بالمدنية الأوروبية يريدونها مثالا ينسجون على منواله . (1)

على أن «عمر راسم» لم يكن يفهم الدين الاسلامي ذلك الفهم الذي عرف به أكثر أهل زمانه قبل الحرب العالمية ، من أنه انزواء الى العبادة ، فرار من العمل الدنيوي . ولكنه الاسلام العملي الذي يعايش الحياة اليومية فتظهر آثاره على سلوك الناس وعلاقاتهم الاجتماعية .

ومن هنا كان يحارب نزعات الدروشة ، ومظاهر التواكل والخمول التي عششت في زوايا بعض الطرق المنحرفة وباتت وباء في أكثر نواحي القطر الجزائري .

---

(1) انظر : أيضا : د . أبوالقاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ص : 82 .

Scanned by CamScanner

وقد أثر عنه انه كان يردد دوما هذه الكلمة . «الاحذية أولا ثم الصلوات بعد ذلك» (1) ولعل القارىء يتبين من خلال الفقرة التالية ايمانه العملي ، وحبه للحركة والعمل الدؤوب ... لاشك وأن السلطة البشرية تنعدم في أمة تبادلت مع حيواناتها الاخلاق ... فلا يكون لوفاء العهد ، وهو الخلق العظيم مظهرا الا في كلابها ، ولا يوجد الاعتماد على النفس الا في وحوشها الضارية ، ولا التطوع والاغتراب في طلب القوت الا في جوارحها وطيورها اذا فليقض على هذه الامة قاضي النواميس الطبيعية أن تكون حقيرة ذليلة ، محكومة مأسورة .. (2)

واللافت للنظر حقا هو ذلك الاهتمام الشديد الذي يبديه عمر راسم بالطبقات الفقيرة وتنديده الدائم بالاغنياء الاشحاء . فهو يبدو في هذا المجال وقد ملك عليه التأسي للمعسرين مجامع قلبه ، (وأسرت عاطفته انسانية رائعة ، جعلت منه محاميا عطوفا على هذه الطبقة . والواقع أن أربعة أعداد من جريدته «ذو الفقار» ـ وهو كل ما صدر منها ـ

---

(1) كثير من المعلومات التي نسوقها ، انما اعتمدنا فيها على الوثائق التي أمدنا بها ـ مشكورا ـ المرحور جمال الدين سفينجة ، وهو من أقرباء عمر راسم ومعاشريه .

(2) ذو الفقار : 3 ، (1914/6/14) .

Scanned by CamScanner

لم تغفل لحظة عن ملاحقة الاخلاق الانتفاعية بالكلمة والصورة . (1)

ينبيك عن هذه العاطفة الجياشة عنده ، أن تكون ضمن الأسباب التي دفعته الى تحمل مشاق اصدار «ذو الفقار» فقد جاء في افتتاحية العدد الأول ذو الفقار يبارز الاغنياء المقصرين الذين يريدون أن يجعلوا مخلوقات الله ، ونظامات الكون آلات يستجلبون بها منافع لهم . (2) ولعلنا نستطيع القول بأن «ابن المنصور الصنهاجي» وذلك هو لقبه الأدبي الذي يذيل به تلك المقالات أول مفكر جزائري يهتم بموضوع الاشتراكية فيبحثه بحثا اجتماعيا هادفا ، ويدعو الى تطبيق الاشتراكية الاسلامية كحل لابد منه لمحو الفوارق الطبقية ، ويكتب عن الاشتراكية في ألمانيا ، ويقارن بينها وبين الاشتراكية في فرنسا (3) وقد عرف عنه اهتمام شديد بالانتاج الفكري الاشتراكي العالمي يقرأه ويعلق عليه . كما تربطه ببعض الاشتراكيين صداقة عميقة .

---

(1) كان ينشر في جريدته رسوما رمزية ـ بريشته ـ يستثير بها نخوة المواطنين ، ويدعوهم الى الاخلاق الفاضلة .

(2) ذو الفقار : 1 ، (1913/10/15) .

(3) ذو الفقار : (1913/10/26 .

Scanned by CamScanner

ففي مقال له تحت عنوان «التعاون» يحمل الاغنياء الجزائريين مسؤولية الصراع الطبقي الذي قسم المسلمين الجزائريين قسمين أحدهما في الحضيض الاسفل بائسا شقيا ، والآخر في الشرفات العالية يكتنفه النعيم . ويروعه ما يتحكم في الاغنياء من جشع أنساهم اخوانهم الذين يتضورون جوعا ، ويتمزقون حسرة وعذابا . لذا فهو يتمنى أن لوكان في الجزائر حزب اشتراكي يمسح ادمع الفقراء ، ويشفق لبلواهم ... آه لوكان للمسلمين الآن حزب اشتراكي . لكن من يعمل به ؟ وهل من أغنيائنا من ينقاد الى تعاليمه ومبادئه ؟ أيها الاغنياء ان لم تعملوا الصالحات وتوهبوا وترحموا وتعطفوا وتسعوا في نهضة أمتكم المسكينة فما عليكم الا الخروج من الاسلام والدخول في غيره من الاديان لأنكم عار عليه ، وأن مبادئه والانسانية يتبرأن منكم ...» (1)

ويبدو أن «عمر راسم» عندما ينحو باللائمة على طائفة الأغنياء الاشحاء ، فانما يفعل ذلك في اطار منهجه الفكري الذي يكره الاستعمار بكل ألوانه وضروبه . فهو يهدف من وراء حملاته تلك الى بعث الروح القومية والمروءة الانسانية في نفوس مواطنيه ليتضامنوا ويتحدوا ... ثم من غير الاغنياء لأحياء مشاريع شعب يحاربه الاستعمار اقتصاديا ، وثقافيا ؟

(1) – م . س .

Scanned by CamScanner

وفي هذا الاطار أيضا راح يدعو بحرارة الى أن يعتمد المسلمون الجزائريون على أنفسهم في تعليم أبنائهم ، ولم يعد التعليم عندئذ لمجرد التعليم ، وانما يكمن وراءه ، هدف سياسي وجيه ، ذلك الهدف الخطير الذي لم يتردد «راسم» في الافصاح عنه .

انه يرى العلم وسيلة توعية تفتح أعين المسلمين الجزائريين على واقعهم المرير ، ويريده اداة اعتزاز واباء توقظ أحاسيس الوطنية بين الجوانح فتتمرد على الظلم والظالمين . وأسمعه كيف يجلجل بآرائه تلك في غير مواربة أو خوف ، وأن مقاله ليشبه بعض تلك القطع المسرحية المأساوية الحادة .

«... أجل ، يجب أن نتعلم لكي نشعر بأننا ضعفاء ، يجب أن نتعلم لكي نعرف أننا مظلومون ، يجب أن نتعلم لكي نعلم كيف نرفع أصواتنا في وجه الظلم ، يجب ان نتعلم لكي ندافع عن الحق وتابى نفوسنا الضيم ، ولكي نطلب العدل والمساواة بين الناس في الحقوق الطبيعية ، وفي النهاية لكي نموت أعزاء شرفاء ، ولا نعيش أذلاء جبناء .

... هنالك في ذلك الميدان الفسيح ، ميدان العلم والرقي الأدبي ليقف كل مسلم متعلم وليصح في وجه أولئك

Scanned by CamScanner

المتطوعين لنصرة المبادىء الظالمة .. ليمت التمييز ... ليقبر التفضيل والتخصيص فكلتا بشر ، لنا الأرض ملكا مشاعا (كذا) ولنا الهواء والماء والسماء ، ليصعق أولئك المخالفون فكفاهم تعذيبا للانسانية ، كفاهم تمزيقا لجسمها كفاهم ما أنزلوه عليها من مجالدهم الجهنمية ...» (1) والحق أننا عندما نستحضر في أذهاننا القوانين الاستثنائية (الانديجينا) التي كانت كالغل القمل في عنق الاهالي ، وعندما نعلم أن هذا المقال صدر بعد خمسة أشهر فقط من صدور قانون التجنيد العسكري الاجباري ، ندرك بوضوح تلك الانفعالات التي كانت تحتدم بها نفس «راسم» فكان هذا المقال من بعض ردودها الفعلية .

وليس التعلم وحده مطلب «راسم» بل هو التعلم باللغة العربية في مدارس يشيدها الاهالي بأموالهم الخاصة ، غير معتمدين على التعليم الفرنسي ، ولا على الكتاتيب التي أنشاها الوالي العام «شارل جونار» .

وفي احتداد عاصف نجده غاضبا في وجه الاغنياء الذين غرتهم الحضارة الأوروبية فتنكروا للغتهم القومية ،

---

(1) الانسانية تعذب ، الحق الوهراني ، ع : 26 (1912/8/25) والمقال بامضاء (كامل)

Scanned by CamScanner

واستنكفوا عن أن يعلموها لأبنائهم مفضلين عليها لغة الدخيل بعد أن أثرت فيهم الدعاية التي تصم اللغة العربية بالنقص زاعمة أن العربية ليست لغة العلوم المعاصرة .

وهو يرى بأن العيب والنقص في أنفسهم هم ، لأنهم هم السبب الذي هوى بلغة القرآن في الجزائر الى الحضيض ، أما اللغة العربية في حد ذاتها ، فانها تتكيف حسب الازمنة والامكنة ، ويكفيها فخارا انها هي اللغة التي «تمدن العالم بها ، وبها سعدت الامم وترقت ابان العصور الاسلامية المزدهرة» (1).

ثم هو يعرض بتلك الكتائب التي أنشأها الوالي العام (شارل جونار) ضمن مخطط استعماري لتوجيه الثقافة في البلاد فاغتر الناس بها ، وكأنهم غير متفطنين للاساليب العقيمة المتبعة بها ولا عالمين بالشيوخ الجهلة الذين نصبهم فيها ، فهم على حدقوله «حمر وحشية» . (2)

ويختم مقاله بهذه الصيحة التي فيها غير قليل من التحدي ، والاعتزاز السامي بالشخصية العربية الاسلامية .

«يحق علينا ألا نتكل على غيرنا ، وألا نهمل لغة أجدادنا ، وتعاليم ديننا ، والا فلنمت موته جاهلية ، ولا

---

(1) (2) الحق الوهراني ، ع : 41 (1912/7/20) .

Scanned by CamScanner

نرى في بلادنا ، ولا ما بين أولادنا . نحن عرب ، نحن مسلمون نموت عربا نموت مسلمين . » (1) .

3 ــ عمر راسم وقضايا الاستعمار والصهيونية :

لعل الاحساس الذي يمتلك المتتبع لكتابات عمر راسم شعوره بأنه إزاء شخصية قوية عارمة تنتفض أفكارا وطنية متحمسة ، وتتقد عواطف ملتهبة . فان نفوره من الاستعمار بكل ألوانه ، وتمرده على الظلم مهما عتا أو تجبر ما هو الا انعكاس صادق لما كان يلاقيه الشعب الجزائري من طرف المستعمرين والمعمرين .

فليس عجيبا ان تتسم كتاباته كلها بهذه الروح .. فقد فتح عينيه ــ كغيره من أفراد الشعب الجزائري ــ على مظاهر البؤس والشقاء ، ودرج مثلهم بين العرق والدموع وصادفت فترة شبابه تلك الاحداث المؤلمة التي كانت تعصر الجزائريين تحت ضغط القوانين الاستثنائية الجائرة (الاندجينا) وتلاحقهم بقانون التجنيد الاجباري المجحف وتضيق عليهم الخناق علنيا بارهاب فكرى ، يستهدف القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية من لغة ودين ، أضف الى كل هذا تلك الوضعية التي تردى فيها الوطن العربي

(1) الحق الوهراني ، ع : 41 (1912/7/20) .

Scanned by CamScanner

والاسلامي قبيل الحرب العالمية الأولى وبعدها . وقد وجدت كل هذه الحوادث المتتابعة نفسا حساسة مرهفة وعصبية في المزاج حادة ، فكان أن انعقدت الصلة المتينة بين راسم والافكار الثورية منذ صباه فلم يصدر الا عنها في كل ما كتب .

ولم يتجل هذا الطابع القوى في كتاباته وحدها ، وانما تعداه الى اعجاب شديد بآراء الكتاب العالميين ، واعتناق واضح لمبادئهم وأهدافهم ، فكان من آثر الكتاب عنده ، بول لوى كوريه (1) Paul Louis Courier يتتبع مقالاته التي تنقد المجتمعات المنحرفة ، وهو من عشاق آراء جيل فاليس (2) Jules Vallés وممن أدمن على قراءة انتاجه هنري الروشفور (3) Rochefort فقد كان معجبا به الى حد أن اعتبره مديرا فنيا لجريدته « ذو الفقار » وهو بذلك يعبر تعبيرا لطيفا ويرمز رمزا موحيا الى اعتناق جريدته للاسلوب الذي يفضح الاستعمار ويناهضه ومن الكتاب

(1) بول لوي كوريه : فرنسي (1772 ـ 825) اشتهر بكتاباته النقدية اللاذعة .

(2) جيل فاليس : كاتب فرنسي (1832 ـ 1885) عرف بنقده الجارح للمظاهر الاجتماعية المنحرفة .

(3) هنرى الروشفور : فرنسي (1831 ـ 1913) صحفي ، وسياسي ، من المناهضين لسياسة جيل فيري الاستعمارية . معروف بنزعته الانسانية .

Scanned by CamScanner

الذين كان دائم الحديث عنهم ، كثير الاستشهاد بأفكارهم ، الكاتب الاسباني الثائر فرنسيسكو فيرير (1) Francisco Ferère وآخرون كثيرون ممن عرفوا بنزعتهم التحررية المناهضة للظلم في كل أنحاء العالم ولاسيما أولئك المعروفين بنزعتهم الثورية نذكر منهم باربيس (2) Barbusse وجوريس (3) Jaurès أما صلته بزعماء الوطن العربي وثواره فانها لم تقف به عند حد الاعجاب والقراءة ، وانما تجاوزها الى تنسيق العمل الوطني معهم عن طريق المراسلة ، ونجد من بين هؤلاء عبد العزيز الثعالبي بتونس ، والامير شكيب أرسلان بجنيف ، أما مصطفى كمال فقد كان من الزعماء الذين تركوا في نفسه تقديرا واعجابا شديدين ، دائم الاشادة بمواقفه ضد الاستعمار الانجليزي ، حريصا على تتبع أفكاره في جريدة «اللواء» ذات الطابع الوطني كما

---

(1) فرنسيكو فرير (كاتب اسباني) وطني النزعة ، انساني الاتجاه اعدم قبل الحرب العالمية الأولى في اسبانيا .

(2) باربيس Barbusse) فرنسي (1873 ـ 1935) روائي ، وصحفي واقعي ، لمؤلفات عدة منها رواية (النار) (1916) التي تركت ضجة ، وبعد مناضلي الحزب الشيوعي .

(3) جوريس (Jaurès) فرنسي (1859 ـ 1914) شهير بكتاباته الاشتراكية ، وتأثير فصاحته في الجماهير ، وهو مؤسس الحزب الاشتراكي الفرنسي في (1901) وجريدة (لومانيتي) سنة 1901 .

Scanned by CamScanner

كان معجبا بالشيخ محمد عبده في منهجه الاصلاحي حيث اختاره هو الآخر مديرا رمزيا لجريدته «ذو الفقار» ، ولم يخف ايمانه بمبادئه حين أعلن بأن «ذو الفقار» جريدة عبدوية اصلاحية (1) كما لم يخف معارضته له فيما يتعلق بقضية فلسطين ونظرته الى الاستعمار الانجليزى في مصر يصدر في كل ذلك عن نفس ثورى واضح .

وعلى الرغم من حداثته ، وما يلاقيه الوطنيون من اضطهاد من الاستعمار الفرنسي آنئذ . فانه تحمل تكاليف سفر شاق الى كل من مصر (2) وتونس ، رغبة منه في الاطلاع على احوال المسلمين بهما ، والتفاوض مع زعمائهما فيما يعود بالصالح العام على الوطن العربي والاسلامي . وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى وفي ليلة عيد الفطر الموافقة للثالث عشر من أوت (1915) زج به في السجن المضيق ، ثم حكم عليه بالنفي المؤبد في 6 نوفمبر من السنة نفسها ، الا أن التنفيذ لم يقترن بالحكم بل تأخر حتى سنة (1921) وعندما روجعت قضيته بتدقيق بسعي من بعض الاحرار الفرنسيين ، ورجال الوطن الغيورين ، ثبتت براءته ، وعفى

---

(1) انظر ذوالفقار العدد (1) الصادر في 1913/10/15 .

(2) سافر الى مصر في سنة 1909 ، وسافر الى تونس مرتين ، الاولى في سنة 1946 ، والثانية في سنة 1951 .

Scanned by CamScanner

عنه ، أما الاتهام الذي وجه اليه فهو ان ادارة البريد الانجليزي في مصر ضبطت رسالة في أوائل الحرب العالمية الأولى ـ قبل دخول تركيا فيها ـ موجهة من الجزائر الى مدير جريدة «الشعب» المصرية لتنشرها موقعة بامضاءات كثيرة من الجزائريين ، ومن جملة ما جاء في هذه الرسالة الفقرة التالية : «يجب على المسلمين أن يقتدوا بخليفتهم ، والا يعينوا أعداءهم (1)» فوجهت التهمة رأسا الى عمر راسم ، بدعوى أن الخط الذي كتبت به الرسالة هو خطه .

ولكن ما عرف به راسم من كره شديد للاستعمار بصفة عامة والفرنسي منه بصفة خاصة ، ثم ما أثر عنه من تعاطف قوى للاتراك وتمسك بفكرة الخلافة الاسلامية (2) يجعلنا نرجح بأن تلك الدعوى التي وجهت ضده ، لاتعدو وأن تكون صحيحة ، ومما يؤكد هذا الرأى ، ذلك الموقف المشرف الذي وقفه ضد قانون التجنيد الا جبارى عندما أراد الاستعمار تطبيقه قسرا على المسلمين الجزائريين على الرغم

---

(1) انظر : تقويم الاخلاق ، لمحمد بن العابد الجيلالي ، قسنطينة (1927) .

(2) يمكن الرجوع الى رسالة وجهها اليه الزعيم الاسلامي ، شكيب أرسلان ردا على رسالته التي يعاتبه فيها عن موقف المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في (1931) بالقدس ولم يعالج قضية الخلافة الاسلامية . انظر للباحث كتابة عن عمر راسم المصلح الثائر الذي سيصدر قريبا . (قسم النصوص) .

Scanned by CamScanner

من معارضتهم الصارمة له ، وهاك ما حكاه لي السيد « جمال الدين سفينجه » وهو من أقرب أقرباء عمر راسم .

« في سنة 1912 كنت أبلغ من العمر عندئذ احدى عشرة سنة ، وكنت على صلة دائمة بعمر راسم بحكم القرابة التي تربطني به » (أمه عمة أمي) جاء ذات يوم وأخذني معه الى ساحة الحكومة (الشهداء الآن) وأعطاني منشورا كان قد كتبه بخط يده ، وقال لي : « اذهب الى الحائط المقابل وألصقه ، وأعطاني ثانيا وقال لي ألصقه على باب حانة « أبولون » وأعطاني ثالثا ، وقال لي الصقه على حائط « المبولة » الموجودة في وسط الساحة فقمت بالعمل كله ، وبعدها رأيت الناس يأتون لقراءة هذه المنشورات وعلمت من بعد أنها نداء الى الشعب الجزائري ليقف ضد قانون التجنيد الاجباري الذي أرادت الحكومة الاستعمارية تطبيقه على الاهالي قسرا ، وفي هذا المنشور يكذب راسم الفتوى التي أتى بها « بيجو » من الشرق بواسطة « ليون روش » والتي تدعى بأنه يمكن للمسلم أن يكون محكوما من طرف عدوه في الدين ، ما لم يمنعه عن القيام بواجباته الدينية . وترك هذا العمل في الأوساط الاهلية أثره ، وبعد أيام بعث الوالي العام الى الأئمة ، والمفاتي ، والقضاة ، يسألهم عمن كتب هذا النداء ، وذلك بواسطة السيد « لوسياني . مدير

Scanned by CamScanner

الشؤون الاهلية الذي يحسن العربية ، وبعد أن اجتمع بهم أجابوه ، بأنه «ليس لنا علم بصاحب النداء» فقال لهم : «بأن خطه معروف ، وأنتم تعرفونه أيضا ، وأنا كذلك أعرفه .

ذلك موقف من عمر راسم يتسم بالشجاعة والتحدى ، وقد كلفه غاليا ، فقد فصل من عمله في جريدة «المبشر»(1) التي كان يعمل بها ناسخا .

أما مقالاته الوطنية الكثيرة في هذا الصدد فقد نشر معظمها بجريدة «الحق الواهراني» (2) والحق أن هذه الجريدة ذات النزعة الاسلامية الصادقة ، قد وقفت أمام قانون التجنيد الاجباري برجولة وثبات ، ويكفي دليلا على صدق لهجتها أن يكون راسم من أبرز المرابطين في اعمدتها مرابطة الجرأة والتحدى ، ولعل من عوامل نشأة هذه الجريدة نفسها تلك الظروف العصيبة التي تلت صدور القانون الآنف الذكر ، اذ ليس بين صدورها وصدور القانون سوى شهور قليلة (3).

(1) جريدة المبشر هي الجريدة الرسمية تصدرها الولاية العامة الاستعمارية (1847 ـ 1926) .

(2) الحق الوهراني لصاحبها بول ابيان ذات نزعة وطنية اسلامية صدرت بوهران (1912) .

(3) صدر قانون التجنيد الاجباري في فيفري 1912 ، وصدرت الجريدة في أكتوبر من السنة نفسها .

Scanned by CamScanner

وهذا نموذج مما كتبه في هذا الشأن ينبىء عما كان يتمتع به من حماسة قوية لاتعرف الخوف ، وصدع وبالحق لا يهون ولا يضعف ولو كان المعنى بالامر ، مستعمر صليبي حاقد . ثم هو يجسد من ناحية أخرى ذلك الصراع المرير الذي كان يقسم الطليعة المثقفة قبيل الحرب الى فريقين فريق متفرنس لا تعز عليه مقوماته الشخصية فى سبيل الحصول على الحقوق السياسية ، وفريق مسلم محافظ لا يقيم وزنا للحقوق السياسية ان كانت على حساب اصالته الحضارية .

فهو يهاجم صراحة أولئك الذين «تخلقوا بمفاسد التمدن الحديث فراحوا يتنصرون للخدمة العسكرية الاجبارية ظنا منهم أن سبب انحطاطنا هو الدين ، وأن الخدمة العسكرية تجبرنا على مخالطة (اخواننا) الفرنسيين وأبناء الاجانب ، فتخلق بأخلاقهم ، وتذهب من عقولنا تلك الأوهام الدينية ، والخرافات ، الاسلامية خلاف ما يظهر من أن الذي دعاهم الى قبولها (أى الخدمة العسكرية) والرضاء بها ، هو الطمع في بعض امتيازات ينالها المسلمون بعد خدمتهم العسكرية (1) .

وهنا يعرض راسم بالاستعمار الفرنسي من جهة ، وبالمتفرنسين من جهة أخرى ، حين يذهب الى أنه لو

(1) انظر : الحق الوهراني ، ع 4 ، (1912/7/13) .

Scanned by CamScanner

تمسك المسلمون بدينهم تمسكا حقيقيا ، وفهموه فهما نقيا من الخرافات والاوهام ، لما «بقي شبر في البسيطة يحكمه غير المسلمين» ، وهذا في تقدير راسم قصر في النظر ، وخلط في الرأي ، لأن المتفرنسين لم يعتبروا «بالمدة التي استولت فيها فرنسا على الجزائر وهي قريبة من قرن كامل» .

وعمر راسم في نزعته الاصلاحية الثورية تلك ، لم تكن لتقف به عند حدود وطنه المغتصب أو يكتفي بالتشكي لمأساة شعبه المضطهد ، وانما تجاوزها بادراك ووعي ، الى الانسانية المعذبة كلها ، رابطا صلاته بالصحفيين والكتاب ذوي النزعة الاشتراكية في أطراف العالم ، فكان له أصدقاء في روسيا ، وفي فرنسا ، يراسلهم ويتبادل الرأي معهم .

ومن ثم كان يطلع الى ثورة عالمية شاملة ويحلم بجيش السلام الذي سيحقق ذلك التطلع ولكن اهتماماته بالوطن العربي والاسلامي كانت أشد واتصالاته بزعمائه ومفكريه كانت أقوى ، ومن هنا كان كثير الكتابة عن مجريات الأحداث فيه ، وواسع الاطلاع والمعرفة بتطوراته .

وخلاصة رأيه في هذا المجال هو أنه لاخلاص للشرق من سيطرة الغرب الا بايمان الشرق بشخصيته ، واعتداده

Scanned by CamScanner

بنفسه ، واعتماده على قوته ، نستمد كل ذلك من تاريخه الذهبي ، وبعثه من جديد بمواكبه متطورة أساسها العلم الصحيح الذي لا ينبهر ببريق المدنية الخادع ، فانه ليس أضر بالامم الناهضة من التقليد ، والجمود .

غير أن الامر الذي بات شغله الشاغل ، والمحور الذي دارت حوله أغلب كتاباته هو ما يتهدد الوطن العربي والاسلامي من خطر الصهيونية . فان اهتمامه بالتحذير من هذا الخطر ، اهتمام لافت للنظر حقا . فاننا لا نعرف كاتبا جزائريا واحدا ، في ذلك الوقت المبكر ، انشغل بهذا الموضوع انشغال راسم به ، ولعله ليس ثمة وصف ينطبق عليه أدق من ذلك الذي اختاره لنفسه حين نعتها بأنه «عدو اليهود على الاطلاق» (1) فليس عجيبا اذا أن يكون السبب الرئيسي الذي دفع به الى خوض معترك الصحافة ـ على حداثة سنة ، وقلة زاد الثقافي ـ هومناصرته لموقف «ماكس ريجيس» المناهض لليهود في الجزائر .

فان القرار الذي استصدره «كريميو» في اكتوبر (1970) هو الذي خول اليهود تجنيسا جماعيا أمدهم بقوة معنوية ومادية هائلة ، راحت تهدد الأوربيين من غير اليهود أنفسهم

---

(1) انظر : مرشد الامة ، ع ، 4 (1909/7/23) .

Scanned by CamScanner

وكادت أن تقع بين هؤلاء وأولئك حرب دموية فيما بين سنتي (1897 ـ 1898) ، والصحف الفرنسية العديدة التي صدرت في هذه الفترة تحمل اسم «انتي جويف»(1) تعبير قوى عن هذا العداء لليهودية .

وسارع عمر راسم منضما الى الصفوف المناهضة للصهيونية ، وشارك في جمعيات من هذا النوع ، وربط صلات متعددة مع الكتاب الذين يعرف عنهم هذا الاتجاه ، بل كان ينظم الاشعار الشعبية في هذا الشأن ويحفظها لأفراد أسرته وأصدقائه ويشتري صور الاعضاء البرلمانيين الذين عرف عنهم هذا الميل .

وليس موقفه هذا نابعا عن عواطف آنية مقيتة لامبرر لها ، بقدر ما هو نابع عن احتكاك ومعايشة، وصدر فيه عن روح شعبية جماعية ، اذ عرف المسلمون الجزائريون من اليهود ضروبا من المكر ، وأفانين من الاذاية .

فان اليهود في الجزائر منذ أيام الاتراك ، وفي عهد مصطفى باشا كانوا يضيقون الخناق على أهالي البلاد باحتكاراتهم الاقتصادية النهمة ، وعندما وقع الاحتلال

---

(1) ظهر في الجزائر من هذه الصحف ما بين (1885 ـ 1905) حوالي اثنين وعشرين جريدة .

Scanned by CamScanner

الفرنسي للبلاد عملوا الى جانبه ، واشتغلوا له سماسرة وتراجمة واغتنموا فرصة هذا التحويل من عهد الى آخر فأثروا ثراء فاحشا ، وراحوا يضغطون بوسائلهم الربوية القظيعة على الاهالي ، ويتخذون منهم بقرة حلوبا يستدرونها بوسائل الحيلة والمكر ، تبدأ من طرف الاهلي بالاستدانة البسيطة ، وتنتهي من طرف اليهودي بالاستيلاء على الأرض والعقار ، وزاد لمشاعر النقمة والسخط في قلوب المسلمين تأثيرا ما رأوه منه من سعي حثيث لفتح الحانات ودور اللهو ، والقمار مما كان له أثر سيء على الناحية الاجتماعية أيضا . وليس أصدق لهجة من عمر راسم ، وهو يصور احساسه المض تجاه اليهود ، ويصف معاملتهم السيئة للجزائريين . «اليهود أمة قاسية القلب ، لايلذ لها عيش ، ولا تطيب لها حياة الا باذايتها لغيرها فعلا ، فان لم تستطع فلسانا ، ولو أردت سرد ما رأيته بعيني ، وسمعته بأذني مما يؤذون به أمتي ، بل والمستعمرين في بلادي ، لما كفتني الأوراق والمحابر ، ولما كفتني الايام التي عشتها مرتين لتسطير جميع ، بل ولا بعض مكرهم ومكائدهم التي يقومون بها طبق طباعهم ومبادئهم .. وهذا لا ينكر ولا يمكن رفضه لان جميع الاحزاب ، حتى الاشتراكي والفوضوى وغيرهما يعترفون بذلك .. وما يهود الجزائر بالنسبة الى يهود أوروبا

Scanned by CamScanner

وأمريكا الا ضعفاء ، فقراء جهلاء ، ومع هذا فانهم يقومون بما تعجز عنه أكابر السياسيين ، وذلك لارتباطهم مع أبناء جنسهم المقيمين في البلاد المتمدنة المتكلين عليهم عند الحاجة (1) .

ومن هنا ندرك بعض الدوافع التي كانت تدفع براسم الى شن حملاته القلمية ضدهم على أنه كان يحذر المسلمين بعامة ، ويسارع الى كشف أعمالهم ومؤامراتهم التي يرتكبونها هنا وهناك ، لا يغفل منها تلك التي قد تبدو في في أعيننا اليوم بسيطة أو جزئية . كتب مثلا مقالا حارا اثر علمه من اعتداء بعض اليهود على أحد الاهالي الجزائريين وتجريدهم أياه من كل ما يملكه من مال ، وعد هذه الحادثة تطورا خطيرا في سلوكهم ، فاذا عرف عنهم السطو بطرق الحيلة والمكر من قبل ، فان ذلك قد جرأهم اليوم الى الاعتداء المباشر وفي وضح النهار ، وهم بذلك يستكملون أدوات الشربين أيديهم وخير للاهالي . وقد بدأ منهم الاعتداء علنا ـ أن يحاربوهم به ، وذلك بأن يحاصروهم اقتصاديا ، ويقاطعوهم مقاطعة صارمة ، لأن «عمر اليهود في قبضة

---

(1) من مقال كتبه عمر راسم في السجن في سنة 1916 . وقد نقلنا عن اصل مخطوط بيد راسم نفسه .

Scanned by CamScanner

التجارة»(1) لقد لا يخفي «راسم» اعجابه الشديد بموقف التونسيين يوم أعلنوا مقاطعتهم الاقتصادية لليهود جزاء للعداوة التي أظهروها «ضد سيادة الباي والامة الاسلامية التي حمتهم حين كانت أوربا تذبحهم كما يذبح الخنزير قربانا لآلهتهم» وهو يرى بأن هذا العمل يثلج الصدر، ويملأ القلب رضى وطمأنينة لأنه سيكون لهم درسا لاينسى، فهو عبرة لاولئك اليهود الذين ما يزالون يعاملون المسلمين معاملة عدائية سافرة، وهو عبرة في الوقت نفسه للمسلمين الذين ما يزالون يحسنون الظن باليهود وهو قبل هذا وذاك عبرة للذين يظنون «أن المسلمين أموات غير احياء لا يحسون ولا يعملون، ولا يظلمون ولا ينتصرون» وهو أخيرا «خير للوطن، وارتباط للقلوب وحث على العمل الجماعي في سبيل المصلحة العامة»(2).

ذلك عملهم في كل من الجزائر وتونس فهل اختلف عنه في أية بقعة من بقاع العالم؟ ان رأى راسم في هذا الشأن واضح لاغموض فيه، قار لا يتغير، فهو يرى أن طبع اليهود واحد مهما تفرقت جنسياتهم، وأساليبهم العدوانية

---

(1) انظر مرشد اللامة، ع، 14 (1909/12/5).

(2) انظر: م. س.

Scanned by CamScanner

متشابهة وان تباعدت بهم الاقطار ، وهدفهم التوسعي لبسط سيادتهم على العالم معروف ، ولو تفرقوا شيعا وأحزابا .

«ان للملك اليهود سفراء وقناصل في كل دولة يعملون فيها عمل (ابن نغرله) بالاندلس أو اكثر اى يعملون الى ما يقوى شوكتهم ، ويعظم سلطانهم وينقد مظلومهم ويخلص ضعيفهم ، ويغني فقيرهم ، ويؤيد كلمتهم ويصحح رابطتهم ، ولهذا فمع كونهم يظهرون التجنس والوطنية الحادة في الممالك المختلفة سكنوها فانهم يهود قبل كل شيء .. فيهود أمريكا يحسون بما يحس به يهود روسيا .. فلا حركة تقع في العالم من صحووشتاء ، أوحرب وسلم الا وهم لها عاملون(1)

ويبدو راسم ـ من خلال ما كتبه غن اليهود ـ على دراية تامة بتاريخهم واطلاع واسع على مخططاتهم سواء في علاقاتهم بالعرب المسلمين عبر التاريخ الطويل ، أو تأثيرهم المباشر وغير المباشر في مجريات الاحداث ما بين الدول المعاصرة .. وهو في ذلك يكشف عن المعاول التي استخدموها في تقويض الحضارات والممالك ، ويسمى الزعماء أو المفكرين الذين استخدموهم في تحقيق أهدافهم بأسمائهم وأعمالهم .

---

(1) من مقاله في السجن 1916 .

Scanned by CamScanner

« رأينا بعد البحث أن كل حركة وقعت ضد الانسانية من حروب وفتن الا وأعينهم شاخصة نحوها ، وبعد البحث أثبتنا أنهم هم المتسببون فيها ، يوقدون نيران الحرب ويلقون بشرارة الفتن . كما نفثوا اسم الفساد بين الأمم لافساد أخلاقها وتجريدها من الفضائل .. انهم يغتنمون هذه الفرص لينالوا سعادتهم ، وراحة أفكارهم الخبيثة المؤسسة .. على هلاك من سواهم ويتخذونها من بين دم ودموع وحزن غيرهم ، ويلتقطونها من غبار الفتن ، وجثث القتلى . »(1) ووفاقا لهذا الاهتمام الذي جعله يتتبع تحركات الصهيونية في العالم بنظر فاحص نجده منشغلا انشغالا عظيما بالوضعية الاسيفة التي تردت اليها الدولة العثمانية قبيل الحرب الأولى بصفة خاصة ، والحق أن «راسما» قد أبدى حرصا شديدا ، في محاولة منه لكشف الخيوط والايدي التي أخذت تخيط في الخفاء كفن (الرجل المريض) .

ومدار الرأي عنده هو أن انهيار الخلافة الاسلامية انما يعود الى تسرب العناصر الصهيونية الى أجهزة الحكم في الدولة العثمانية ، وتحكمهم في توجيه دفة السياسة بها ، وقد هيأ لهم فرصة ذلك ما وجدوه من الاتراك من غفلة واستهتار .

(1) انظر : م . س .

Scanned by CamScanner

وهو عندما يذهب هذا المذهب يسند رأيه ذلك دائما بذكر الوقائع التاريخية ، والاحداث المعاشة بل ويذكر اسماء الحكام والوزراء الذين تورطوا في هذه المؤامرات الفظيعة ، ومن ثم فهو يرى أن ما حل بالدولة العثمانية من انهيار وتمزق انما يعود أساسا الى السياسة المدسوسة التي طالما انتهجها رئيس وزرائها (مدحت باشا) (1) وهو في أصله وفصله ابن راهب يهودي من المجر زرعته الصهيونية في قلب الامة الاسلامية لينفث في دمائها سموم الفرقة والوهن «فهو ابن هذه الطائفة المنفذ لأحكامها ، وتلميذ لجمعية الاتحاد الاسرائلي العام والساعي في قوة نفوذها» واذا بمدحت باشا «وبحمل أعماله في الحكومة دسائس كانت تلقي تركيا في المشاكل التي لايحلها الا نقص شطر من خريطتها» .

وحتى السلطان «الملقب بالخليفة» يغدو في حقيقة أمره ، بالنسبة لراسم ، آلة يحركها اليهود وعملأوهم لتحقيق أغراضهم ، ونيل مرادهم .

وفي تنصيب السلطان الذي جاؤوا به بعد الانقلاب ، عملية محكمة للدس والاحتيال فما هو» الا مرآة يحرفون

---

(1) مدحت باشا (1822 ـ 1884) من اعظم رجلات الحكم العثماني ، مات مخنوقا في السجن .

Scanned by CamScanner

بها أنظار المسلمين عن الصواب ، ويذهبون الشك ممن التفت نحوهم ، وفي أمرهم قد حار وارتاب (1) .

ثم ان راسما لم يقف به الاهتمام بالدولة العثمانية وخطر الصهيونية عليها عند كتابة المقالات والفات نظر الرأي الاسلامي العام اليها . بل كانت محور اهتمامه ، ومدار مفاوضاته مع بعض الزعماء العرب أثناء سفره الى مصر ـ والذين لم يجد عندهم فيما يبدو ما كان يأمله من حسن التفهم ، وبعد الرؤية . ففي هذا المجال يذكر بأسى عميق موقف «رفيق باشا العظم» (2) الذي كان يحسب عندئذ من مفكري العرب وزعمائهم ، وذلك ان راسما أوضح «للعظم» بأن ضعف جمعية الاتحاد والترقي التركية انما يعود الى ما اندس فيها من عناصر يهودية مخربة ، فأجابه بقوله : «اننا لا يمكننا الاهتمام باليهود لأنهم أمة ضعيفة ، ضئيلة ، لا نفوذ لها» . (3)

---

(1) انظر : م . س .

(2) رفيق العظم : (1865 ـ 1924) عالم من رجال النهضة في سوريا ، له كتاب «أشهر مشاهير الاسلام في الحرب والسياسة» .

(3) النص من وثيقة موجودة عندنا بخط عمر راسم نفسه ، وفيها انتقد موقف محمد عبده أيضا من سياسة الانجليز في مصر .

Scanned by CamScanner

وطالما تنبأ بأن انحلال تركيا التي أصبحت قبيل الحرب ـ مقر الملك الاسرائيلي ـ هي رأس الفتيلة التي أشعلها الصهاينة لتتفجر هناك في فلسطين ، فكما أخذت منها كل من مصر والجزائر وتونس فتؤخذ منها فلسطين لامحالة .

والذي أتاح فرصة العمل الجاد للصهاينة في سبيل تحقيق اغتصابهم لفلسطين ، انما هو غفلة الدولة التركية التي ملكتهم زمامها ، وبوأتهم في كراسي الحكم غفلة وانحلالا ويقدر ، بأنها ـ ان لم تتفطن قبل فوات الأوان ـ فستصبح في هول شديد يشيب صبيانها ، وسوف ترى من اليهود في فلسطين ما لم تره مع اليونان والبلغار وغيرهما(1) والحق ان تفطن عمر راسم مأساة فلسطين يعود الى وقت مبكر جدا . فهو منذ سنة 1909 أى منذ بداية عهده بالصحافة ابدى اهتماما خاصا بهذه القضية المصيرية ، ونستطيع القول بأن مقالاته الأولى تعد بمثابة ناقوس الخطر الذي أخذ يقرعه بشدة وعنف ، ولكن اذان المسلمين صمت أو تصامت .

---

(1) من مقاله في السجن .

Scanned by CamScanner

فعندما كشر اليهود صراحة عن أنياب الجشع ، يوم راحوا ينشرون في أعمدة الصحافة العربية عن مخططاتهم التوسعية في فلسطين قدم راسم نوذجا حيا لهذه المقالات(1) كتبها أحد الصهاينة داعيا فيها يهود العالم الى العمل الجاد والجماعي «ليلموا شتاتهم ، ويوثقوا عرى ارتباطهم فوق أرض فلسطين» ولا يخفى ذلك الكاتب بأن الفرصة باتت سانحة أكثر من أي وقت مضى ، اعتمادا منهم على رجال الحرية والدستور وجمعية الاتحاد والترقي ، وان يعلن عن جمعية مركزية تأسست في القاهرة لجمع التبرعات لهذا الغرض برئاسة ناظر المدرسة الاسرائيلية في (عابدين) المدعو «كاليف» .

ولقد أبدى راسم تعجبه من غفلة الصحافة العربية التي راحت تنشر أمثال هذه المقالات بدون أن تعلق عليها بحرف واحد وكأن الامر لا يعنيها في شيء . ويتساءل عن أسباب ذلك ؟ أهو الخوف من سطوة اليهود ؟ أم أن الاخلاق العربية باتت هي الأخرى من مقتنيات اليهود ومشترياتهم ؟ وهنا يستصرخ الرأي الاسلامي العام بقوله «داركوا الامر يا مسلمين .. أفيدونا معشر المسلمين تجازون بقدر العمل» .

---

(1) انظر : مرشد الامة ، ع ، 4 (1909/7/23) .

Scanned by CamScanner

ولكن أحدا لم يجب راسما ، فبات تألمه من مؤامرة الصمت هذه أشد حزازة في نفسه من ذى قبل . فالسكوت دليل اللامبالاة . واللامبالاة دليل الشيخوخة والوهن .

ولم يكن موقفه اليقظ من هذه القضية ، وادراكه الواعي لأبعادها الخطرة ، مغرقا في موجة من العاطفة العاتية ، وانما كان حريصا على سوق الحوادث التاريخية ، والوقائع المعاشة مما يضفي على كتاباته طابعا من الموضوعية .

وقد اتصفت كتاباته الى جانب هذه المتابعة الدقيقة ، بقناعة تامة بموقفه ، وثبات لا يعرف التردد أو الشك ، حتى عند ما يكون الامر متعلقا بمعارضة رأي مفكر اسلامي له شأنه ووزنه ... فقد نشر الشيخ رشيد رضا مقالا بجريدة «المنار» (1) بين فيه وجهه نظره من «سعي جمعية من يهود أوروبا الى تكوين دولة جديدة في البلاد المقدسة من مملكة العثمانيين» ويرى رشيد رضا ـ بعد أن يندد بهذا العمل العدواني السافر ـ أنه يجب على زعماء العرب أهل البلاد أحد أمرين : اما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد ان امكن . واما صرف

---

(1) انظر : المنارم 17 ، ج 4 ، (1914/3/27) .

Scanned by CamScanner

قواهم كلها لمقاومة الصهيونية بكل طرق المقاومة ... وانما هو الكي والكي آخر العلاج » (1)

وهنا لا يملك عمر راسم صبرا . وتهزه الغيرة الوطنية فيسارع الى ابداء رأيه معلقا على اقتراح رشيد رضا بقوله : « هذا خطأ فاحش من صاحب المنار لأنه يريد أن يرضى الدخلاء بتنازل أهل البلاد اليهم حتى يعترفوا لهم بالمساواة ... ان اتفاق زعماء العرب أبناء الفاتحين وأهل البلاد ، مع زعماء اليهود مستحيل ، لأنه اعتراف بزعامة اليهود ورضى منهم بمشاركة هؤلاء الاجانب في بلاد اشتراها أباؤهم بدمائهم الطاهرة .. فلا يحق لغير العرب وهم أبناء ابراهيم الأصفياء الازكياء الموعودون بتلك البقعة الطاهرة ، ان يملك تلك الأرض ، ولا لغير راية الاسلام أن تخفق عليها ما دام في عروة العرب دم ، وفي أجسام المسلمين روح » . (2)

ولا يبني عمر راسم نظريته هذه على العاطفة الدينية وحدها ، وانما يسفعها ببعد نظر سياسي ، ودقة في استكناه الحوادث ، واستبطان لما تحتوي عليه من الاخطار السرية المذهلة ، ما لبثت الايام ان تكشف حقيقتها .

---

(1) انظر : ذوالفقار ، ع ، 4 (1914/6/28) .

(2) س . م .

Scanned by CamScanner

فهو لا يفتأ يشير الى المؤامرات التي يحيكها اليهود آنئذ في قلب المملكة العثمانية هي في نظره البداية الخطرة التي تنتهي لا محالة الى نهاية أشد خطرا . «فان بقيت دولة الخلافة تحت سلطة «كارسو» وهو الذي خلع عبد الحميد ، رئيس حزب الاتحاد يهودي وهو «جاويد» ، وحقي بائع طرابلس لأخيه لوزاتي ، فلا شك أن تقع الدولة في مخالب اليهود ، وكل هذه الاعمال مقدمة لاحتلال فلسطين» (1)

وقد حمدت الايام ما اتسم به موقف راسم من بعد رؤية وصلابة ، موقف ، وكشفت عن أصالة فكره ، وحسن استفادته من الحوادث التاريخية .

ولعله من المفيد هنا ، أن نشير الى الروافد الثرية التي أغنت ثقافة راسم ، وكونته هذا التكوين الرائع الذي يجمع بين الثقافة العربية الاسلامية الاصيلة ، والثقافة الاجنبية المتفتحة .

فأول الروافد هو القرآن الكريم فقد حفظه حفظا جيدا وهو ما يزال في السابعة من عمره وقضى بقية حياته مداوما على مراجعته ، معنيا بتجويده ، عارفا لقواعده وقراءاته .

---

(1) المصدر السابق

Scanned by CamScanner

بل ، انه حاول وهو في السجن أن يفسره تفسيرا رآه الزاهري تجديدا في التفسير لو أكمله لأفاد به المسلمين . (1) .

أما الرافد الثاني ، فهو تفتحه على الانتاج الفكري الانساني ، واطلاعه الواسع على الحركات التحريرية العالمية واستفادته منها ، فقد فتح له هذا التتبع المفيد نوافذ واسعة على المعرفة تشربها تشربا عميقا ، وعرضها على الاحداث المعاصرة ، ولاسيما ما يمت بصلة الى الوطن العربي والاسلامي

ثم لاشك في ان اتصاله بالمفكرين والزعماء في الشرق وفي الغرب كان له تأثير على أفكاره ونظرياته .

4 ـــ عمر راسم وقضايا الفن :

إن الدارس لشخصية عمر راسم لا يقف اعجابه به عند حد الآراء والنظريات التي كان يطرحها في كتاباته فحسب ، بل يتجاوز كل ذلك الى جانب آخر من جوانب شخصيته وهو الجانب الذي تميز به من خلال اعماله الفنية الخالدة من خط ، وزخرفة .

---

(1) انظر : محمد السعيد الزاهري ، الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير ، ص : 30 وأنظر أيضا الشهاب ، ع 75 ، ص 7 .

Scanned by CamScanner

فان عمر راسم لم يخدم الثقافة العربية الاسلامية بمقالاته السياسية ، والاجتماعية فحسب وانما خدمها ايضا بمواهبه الفنية الرائعة نظرية وتطبيقا .

فقد كان « عمر راسم » هو واخوه « محمد راسم » من أبرزالرسامين في عصرهما . ولم تكن شهرة عمر راسم محدودة في الاطار الاقليمي القطري وانما تجاوزت الحدود لتصبح عالمية ، يعترف بها أهل الفن ، ولاسيما اولئك الذين يتذوقون الزخرفة الاسلامية ، ويقدرون الفن الاصيل .

وقد نشأ عمر راسم في وسط فني نعومة اظفاره ، وترعرع بين احضان عائلة يزاول اغلب افرادها فن الرسم ، والزخرفة ، والخط والموسيقى والشعر . وما اليها من الفنون الجميلة . ولعل لإطلاق لقب « راسم » عليها علاقة وطيدة لموهبتها هذه . فقد كان أبوه على راسم من أشهر الرسامين والمزخرفين في عصره ، وكذلك كان عمه محمد راسم ، وعن والده تعلم هو وأخوه محمد فن الرّسم ، والزخرفة والخط ، والى ابيه يعود الفضل في تنشأة ولديه على حب الفن الأصيل المتمثل في المنمنمات والزخرفة الاسلامية بصفة خاصة هذا الفن الذي كان على وشك الاضمحلال حتى في الشرق العربي والبلاد الاسلامية في تلك الفترة .

Scanned by CamScanner

فالمدرسة الوحيدة التي تخرج فيها عمر راسم هي مدرسة والده حيث تعامل مع الفن الجميل منذ الصغر بذكاء وحذق ، وزاوله مزاولة المتذوق واناملة ما تزال طرية . فكان يخط و يزخرف شواهد القبور ، او يصنع الاختام لبعض الادارات الرسمية ، أو يبدع بعض الاعلانات ، والنشريات رسما وزخرفة وخطا . وكثيرا ما كلفه (رودوسي) صاحب المطبعة الثعالبية ببعض الاعمال (1) . ومن اعماله الخالدة التي ما تزال شاهدة على مواهبه الفنية العالية . مجلته الرائدة «ذو الفقار» في سنة (1913) التي كان ينسخها ، ويرسم صورها بقلمه وريشته ، ومن ذلك ايضا نسخة لجزء من اجزاء القرآن الكريم بخط مغربي جميل (2) . وكتابته لافتات التعريف باسماء بعض الشوارع في حي القصبة وما جاوره ، والتي ما يزال بعضها يشهد له بذلك حتى يومنا هذا . وأهمية عمر راسم ـ حسب رأيي المتواضع في هذا المجال ـ انما يعود الى نظرياته الفنية الاصيلة التي ما انفك يدعو اليها ، ويكتب حولها ـ المقالات الضافية ، ينشرها في صحافة الجزائر ، وتونس ، والمغرب ، أو يذيعها من اذاعة الجزائر آنئذ . وهو ينطلق في كل ذلك

---

(1) هذه المعلومات اعتمدنا فيها السيد جمال الدين سفينجة ، احد أقربائه المقربين الذين رافقوا عمر راسم عن كثب .

(2) حدثنا بعض اقرباء راسم بذلك ، ولم نطلع على هذا العمل .

Scanned by CamScanner

من عقيدة راسخة لا تؤمن بغير التميز والاصالة ، معتدة كل الاعتداد بالفن العربي الاسلامي الاصيل ، مزوزة عن كل تقليد أو تبعية .

وموقفه الثابت الذي لم يتزعزع نظرية او تطبيقا هو الحفاظ الكامل على هذا التراث العربي الاسلامي ، أمام موجات الفرنسية ، والتغريب التي تحاول مسخه وتشويهه .

فكان عمر راسم يمثل هذا الحارس الامين الذي هو بمثابة الضمير لهذا الشعب المسلم في فترة عصيبة تعرض فيها الشعب الجزائري لحملة صليبية حاقدة تهدف الى تذويبه والقضاء على كل ماله مساس بحضارته وشخصيته .

ومن هنا كانت رسالة عمر راسم في تعليم فن المنمنمات ، والخط ، والزخرفة بكلية الفنون الجميلة عظيمة ، وكانت اعماله في هذا المجال رائعة حقا (1) فإليه والى اخيه محمد راسم يرجع الفضل الاكبر في الحفاظ على التراث الغني . الذي تفاخر به الحضارة العربية والاسلامية ، وتعرضه في

---

(1) قالت ايكود الجي ، المعروفة باتجاهها الاستعماري معترفة بفضل عمر راسم في هذا المجال :

(Il est) « tout spécialement qualifié pour ce poste par ces connaissances très étendues et ses expériences en la matière. » Voir : Echo d'Alger N° (4/1/1939)

Scanned by CamScanner

أكبر المعارض العالمية (1) وقد اعطيا لفنهما ذاك كل ما يملكانه من طاقة ، وبذلا كل مجهود في سبيل نقل معارفهما وتجاربهما الى تلامذتهما فكان ان نضجت على يديهما كوكبة من المصورين ، والمزخرفين الجزائريين اشتهروا باعمالهم الرائعة الخالدة ، فكانوا بذلك شهادة أخرى على الرسالة العظيمة التي كان «الراسمان» يقومان بها .

فقد تخرج على يديهما فنانون يحتلون مكانة مرموقة في عالم الفن يكفي ان يذكر من بينهم بعض الاسماء اللامعة ، مثل تمام ، وتركي ، وفرحات ، وبوطالب ، وبن حصال ، وعباس ، وابن الدباغ ، وغيرهم .

لقد استطاع عمر راسم واخوه محمد حسب رأى صحيفة (الديباس الجريان) الصادرة باللغة الفرنسية في الجزائر العاصمة ـ ان يكونا من هؤلاء الشبان فنانين يتحلون بالاهلية والقابلية ، ويتحلون بالشرف ، والشوق اللازمين لتتبع دروس هذا الفن مدة طويلة ، لان تعلم رسم الاشكال ذات الزوايا ، ورسم التشبيك ، ووضع صور الزهور والورود ، ورسم الكتابات والزخرفة ، التي هي من اصل عربي اسلامي

---

(1) اقام عمر راسم وأخوه وتلامذته عدة معارض فنية داخل الجزائر وخارجها .

Scanned by CamScanner

يتطلب تطبيقا صحيحا راسخا . فان فن المنمنمات يتطلب قدرة فائقة ، وصبرا عظيما ، ودقة ملاحظة وذكاء ، ومداومة ، وقلما تتجمع هذه الصفات في شخص (1).

وفي سبيل التعريف بالفن الاسلامي ، أقام عمر راسم هو وتلامذته عدة معارض طوال الثلاثينيات ، والاربعينيات نذكر من بينها ، معرضا اقيم بمدينة «نيس» بفرنسا سنة 1938 ، وثلاثة معارض بالجزائر العاصمة في السنوات ، (1939) ، (1941) (1944) .

وكانت هذه المعارض تحظى بالتقدير والاعجاب ، يتابعها الجمهور المثقف المتذوق بعناية ، عربا وأجانب ، جزائريين وأوربيين ، داخل الوطن وخارجه وتكاد تتفق آراء النقاد الفنيين والصحافيين على الاعجاب بما يتحلى به عمر راسم من خصائص اخلاقية ومواهب تؤهله لهذا الفن . وتثني على ما يبديه من صبر وجلد وبراعة في التعليم ، متنبأة لتلامذته بمستقبل رائع في هذا المجال (2) . ونشير هنا بصفة خاصة إلى معرض الذي أقامه هو وتلامذته في العاصمة في سنة (1939) ولعله كان الاول من نوعه ، مما جعل

---

(1) انظر : (9/1/1939) La Dépêche Algérienne N°
وانظر النجاح ، ع ، 2242 (1939/1/26) .

(2) انظر مثلا . La Liberté N° 142 (28/2/1946)

Scanned by CamScanner

الفنانين ، والشعراء ، والنقاد يستقبلونه استقبالا حافلا ، ويثنون عليه ثناء طيبا ، حتى ان جل المعروضات اقتناها هواة الفنون العربية الاسلامية من الفرنسيين وغيرهم .

وقد نوه الشاعران محمد العيد ، واحمد الاكحل بهذا المغرض يعبر كل منهما عن احساسه تجاه ما يقدمه عمر راسم الى الفنون الاسلامية من خدمات ترفع رأس الوطن عاليا . وقد تجاوزت شهرة راسم واعماله ، وجهوده ، وكتاباته ، حدود القطر الجزائري الى كل من الشقيقتين : تونس(1) والمغرب (2) فنجد في جريدة المباحث التونسية مقالات ورسائل لراسم في هذا الصدد كانت المباحث تعتز بها ، وتنعت صاحبها على انه شيخ الفنانين حينا ، وكبيرهم حينا آخر

يقول محمد العيد :

فزت بالشكر ، فزت بالتقديـــــر ... ايها الراسم العزيز النـظيـــر

رفعت فنـك الـجـزائر قـدرا ... واحلته في الـمـقـام الكبيـــر

بـــارع الرسم ، بـارع الخط فيها ... «عمر راسم» بــدون نكيـــر

ازهـــر الـفـن في يـديـك وواتى ... قلم الخط ، ريشة التـصويـر

(1) عثرنا على رسائل واردة من مدير المباحث الى عمر راسم تدور حول النية لأقامة معارض مشتركة لفنانين جزائريين وتونسيين .
وانظر في هذا الصدد ، المباحث ، ع ، 9 (جانفي 1945) .

(2) انظر ، السعادة ، المغربية ، ع ، 5323 (1941/8/20) .

Scanned by CamScanner

كل مـن قـد رأى رسومك أبـدى كل مـدح ، وفـاه بالتكبيـــر
ترقى البلاد بالعامـل الـمـا هـر صـنـعا والعالم التحـرير
هـيء الـيـوم للجــزائـر نشئا ماهـر الصنـع ، سامي التفكير
يـحـذق الخط في الجـــزائـر والـرســـم ، ويعنى بكل شأن خطير
قـد رقت صنعـة ابـن آدم فـنا فـأبانت عن دقـة التدبيـــر
انما صنعـة ابـن آدم بــرهـا ن ، مبيـن على الاله القدير (1)

ومما جاء في قصيدة أحمد بن يحي الاكحل :

حـي النبوغ ، وحي في ذا راسمـا بجميل خط في الصحائف راسما
ذاك الـذي ابدى البراعة فانجلت لـذوى الشعور الحي وجها ناعما
ان الفنون جميلة ، وأخـــصـها فنا يمثـل للجمال مــراسما
هذا هو الفن الجميل ، وانـــه يـهدى لصاحبه المجيد مكارما
هـذبت يا عمر المهذب نشـأة بجميل فنك تـه دلالا دائما
كـونت فيها رقـة الاحساس بـل فيها خلقت قرائحا وعــزائما

- فأنا احي الفن والاحساس بالتعظيم ، اذ أني احي راسما (2) ان الفن عند عمر راسم لا يتخذ وسيلة للكسب ، أو مدعاة للتلهي ، أو صبوا الى الشهرة وانما هو عنده أجل

---

(1) عثرنا على هذه القصيدة في اوراق عمر راسم بخط الشاعر العيد ، وهي وهي ليست منشورة في ديوانه فأحببنا نشرها هنا كاملة للاستفادة منها . وهي مؤرخة بـ (1939/3/1) وديبا جتها هكذا : مدير مدرسة الشبيبة الاسلامية الجزائرية محمد العيد آل الخليفة الى الخطاط الجزائري الشهير الاستاذ عمر راسم المحترم .

(2) هذه المقطوعة منشورة في النجاح ع ، 2242 (1939/1/26) وقد جاء في تقديمها ما يلي : حي شاعر الجزائر لما زار المعرض السيد عمر راسم بهذه القطعة الشعرية اللطيفة ، والمقطوعة مؤرخة بـ (1939/1/8) .

Scanned by CamScanner

من ذلك وأعظم ، أنه يحله من نفسه محلا ساميا ينأى به عن كل الاعتبارات المادية ، والغايات الانتفاعية .

«وان الفنون الجميلة هي عنوان تمدن الأمم ، والدليل على ما بلغته من درجة في السمو الروحاني ، لأن الداعي الى حب الفن ، والميل اليه ، والولوع به هو حب الجمال والباعث لنشاطه لطافة الذوق ، ورقة الاحساس ، وقوة الشعور الحي .. (1)»

بل راسما يقرر جازما بأن الفن الحقيقي يتناقض كل التناقض مع هذه الغايات المستعجلة المتهافتة التي تفسد الذوق ، وتشوه ملكة الاتقان «وما اراد الفنان بفنه كسبا الاغاب عنه وحي العاطفة ، ونضبت القريحة ، وعميت سبل الابتكار ، وذهبت الحرية ، وتقيد الشعور ، وانقلب الامر من معنى الخلق الفني ، الى معنى الخدمة المأجور عليها ، او البضاعة التجارية .. (2) .

---

(1) المباحث التونسية ، ع 11 (جانفي 1945) . وقد جاء في التعليق على هذا المقال الذي هو تحت عنوان «خواطر في الفن» ما يلي : من كلمة القاها الفنان صاحب الامضاء امام مذياع الجزائر ، عند اقامته معرض شباب الفنانين الجزائريين أرسلها خصيصا لمجلتنا .

(2) المصدر السابق .

Scanned by CamScanner

ان عمر راسم كان فنانا عاشقا لفنه بل اكاد اقول لرسالته ، لانه يعتقد بأن الفن رسما كان ام خطا ، انما هو فن لا صنعة ، وأصالة لاتقليد ، وابداع لا تهريج . فعلى الفنان ان يكون صاحب رسالة انسانية حضارية ، وعليه ان يعتبر نفسه جنديا مجندا لخدمة تراثه الذي يمثل تاريخ أمة ، ودوره في هذا لا يتمثل فيما يقدمه من ابداع بل بما يقوم به في توصيل هذا الفن الى غيره . وفن بلا رسالة وهدف لا يعد شيئا عند راسم . لانه لا يفيد لا الوطن ، ولا الأمة ، ولا الانسانية ومن ثم فانه ليس كل من خط حرفا يسمى خطاطا ، اورسم لوحة يدعي فنانا لأن العبرة في هذا المجال هي في الاصالة قبل كل شيء ، ومن ثم ايضا يسقط في عيني راسم كل عمل لا يمثل شخصية صاحبه ، ولا يجسد بصمات أصابعه ولا يبرز خصائص انتمائه الحضاري سواء أكان مصورا ام موسيقيا ام شاعرا . » (1) .

ومن شك في أن راسم كان ينطلق في آرائه عن نظر بعيد ، وفكر حاذق ، وتمثل للواقع المعاش أحسن تمثل .

فانه لا يخفى ما وراء هذه النظريات من بعد سياسي ، يمكن اعتباره داخلا في هذا الاطار الذي كان يدعو اليه

---

(1) هنا الجزائر ، ع ، 59 (نوفمبر 1957) .

Scanned by CamScanner

رجال الاصلاح الى الحفاظ على المقومات الاساسية للشخصية الجزائرية ، وتصديهم لكل موجات التغريب والفرنسة والمسخ أينما وجدت واني توجهت .

لذا كان راسم عدوا لدودا لكل مظاهر التقليد والتبعية ، رأينا ذلك منه في مواقف متعددة من مقالاته الاصلاحية ، ونرى ذلك منه في نظرته الى الفن الأصيل ، فهو يعتبر التقليد من نتائج «الضعف ، والجهل ، والبلادة» ولأن المقلد لن يضيف الى الفن شيئا ولو حاول «لانه من المحال ان يبلغ المقلد درجة المجتهد .. ولن تظهر من نتائج المقلد ثمرة يمتاز بها ، ولا ينال شهرة يضاهي بها من سبقه ولو اتقن تقليده ، فما هو الا بمنزلة المتعلق ، او المختلس ، والانسان لا يقلد الا في الشيء الذي استحسنه واعتبره وفضله على ما عنده وما هو عليه ، فذلك يترك شخصيته ويتبرأ منها طبعا كي يصل الى درجة من قلده وما هو حينئذ الا المتزيي بزي غيره ، والمتظاهر بمحاسن ليست منه ولا له ... وبهذا لا يسوغ المقلد ما ان يعتبر نفسه مساويا لمن قلده لانه لن يبلغ ابدا درجة المجتهد او المبتكر او المخترع . (1)»

---

(1) المصدر السابق ، بتصرف .

Scanned by CamScanner

وكراهته للتقليد جعلته ينعت المقلد بكل صفات التحقير ، والحط والازدراء فهو فار من الواجب كالطماع ، والمحتكر الذي يريد ان ينال الأرباح الطائلة من دون تعب وهو في الغالب معاند لا يعرف قدر من قلده ، ولا مناسبة الاشياء ، والاتصال ببعضها فكثيرا ما يضع الاشياء في غير محلها ، ولا يراعي في ذلك الامنفعته المادية وذوقه الذميم الحقير ، فلهذا كان التقليد من اي وجه كان مذموما محطا بقدر المفتقر اليه او المنتفع منه ، الا ترى ان الناسخ للكتب لا يعد مؤلفا ، ولا الملحن شاعرا ، ولا الراوي محدثا . فما هو الا كالحمال الذي يحمل بضاعة غيره ، والمكسي بلباس غيره عريان .... (1)»

ومن هنا تصبح رسالة الفن في ابعادها الحقيقية مقاومة للفن الدخيل ، واعتدادا بالفن الاصيل ، ويكون دور الفنان هو الحفاظ على هذا التراث العربي الاسلامي الذي يسعى المستعمر الفرنسي الى تشويهه ومسخه ، من وراء غزو فكري شامل ، واستلاب ثقافي يتسلل الى جميع مجالات المعرفة ، وراسم يتحايل للتعبير عن هذه الحقيقة ذات البعد السياسي بافراغها في قالب ثقافي فني وذلك حيث يقول : «ومن

(1) المصدر السابق .

Scanned by CamScanner

فقد شخصيته فهو كمن ضيع همته ، ومن ضيع همته رخصت قيمته .. فما هو الا كالماشي وراء القافلة ليلتقط ما عسى يسقط من فضلات اصحابها ، كفاه بذلك بؤسا ومذلة ... والانسان ابن الطبيعة ، فان شخصيته واذواقه وميوله هي من ثمرات الوسط ، والطقس والتربية ، فمن تباعد عن شخصية عنصره وموقعه أو انكرها او تباعد عنها تقليدا لغيره او تملقا ، فكأنه عصى نواميس طبيعته وأصله فيسمى مارقا (ديزيرتور) أي فارا من الواجب(1) » .

ان حب راسم لفن الرسم والزخرفة جعلته يكتب عنه المقالات المتعددة ناظرا اليه من كل الجوانب ، مبينا العلاقة بينه وبين العلوم الانسانية الاخرى ، كاشفا عن دور التصوير في شتى المجالات ، فكتب مقالا مطولا عن التصوير والعلم ، (ز2) وما يقدمه التصور من خدمات جلى في هذا المجال تجسيدا للتاريخ واحداثه ، ونشرا للفضيلة ومحامد الصفات ، وتهذيبا للروح ، وتربية للذوق الرفيع في الانسان .

ولعل النظرة التقليدية التي كانت تتحكم في اذهان بعض الناس فحرموا فن الرسم والتصوير وعدوه من المحرمات

---

(1) المصدر السابق .

(2) -هنا الجزائر ، ع ، 14 (جوان 1953) .

Scanned by CamScanner

التي نهى الله عنها . لعل هذه النظرة التي هي امتداد لعصور الانحطاط والتزمت . هي التي دفعت راسما الى تبيان مكانة التصوير بين العلوم الاخرى ، وضرورته للانسان ، بل ودوره الايجابي في تكوين الانسان تكوينا فاضلا ، وقد جسد هذا في الجملة التي انهى بها مقالته تلك ، حيث يقول : «ان صورة واحدة تسحر الالباب ، وتفتح البصائر ، وتكون قدوة للرجال في جليل الاعمال ، وسموا لمدارك في سائر الاجيال ..(1).

ولعمر راسم اهتمام بالغ ايضا بالموسيقى الاندلسية تاريخها ، واصولها وتطورها ، وقد كتب عنها مقالات متعددة ، والدافع له الى هذه العناية هو ما رآه من مزاحمة الموسيقى الغربية للموسيقى العربية الاصيلة ، وما داخلها من الحان لا تمت الى أصالتها . ولذا نجده يندد بمحاولات بعض الذين يدعون التجديد بادخال الالحان الاميريكية ، والاوروبية ، ويسمى هذه العملية «هجانة مسخا»(2) . ويعتز راسم بالموسيقى الاندلسية التي يفتخر بمحافظة الجزائر عليها أصيلة نقية دون سائر البلاد الاخرى ، ويحث

---

(1) المصدر السابق .

(2) هنا الجزائر ، ع 29 .

Scanned by CamScanner

الجزائريين على المحافظة على هذا التراث القيم ، والدوام على العناية به . فان فناني الجزائر حسب رأيه كانوا دائما كذلك لم يحرفوا ولم يغيروا حرفا ولا صوتا عما ورثوه عن المهاجرين الاندلسيين ، وقد كانت الجزائر في أبان شبابها وايام سطوتها ورفاهيتها غرناطة افريقيا الشمالية .

« وليس من المبالغة ان نقول ما بقي الى الآن بها من آثار تلك الالحان والاناشيد والموشحات هو على قلته صورة صادقة بدون شك مما كانت تتغنى به غرناطة ، واشبيلية ومالطة ، وطليطلة ، وغيرها وذلك من سبيل التواتر الصحيح . وشاهد على ذلك اني سمعت في غضون ما يزيد على خمسين سنة ، ومن اجيال متتابعة عدة « اشغال » اندلسية ولم اقف فيما سمعت منها على فرق واحد ولو في مداو في قصر بين من عرف من معلم ، ومتعلم (1) . »

وعمر راسم في استعراضه لهذه المعلومات يرمي الى أن يعتز الجزائريون بهذا التراث ويحافظوا عليه نقيا أصيلا ، وذلك وجه آخر من وجوه التحدى والمقاومة لكل ما هو غير عربي اسلامي . ولا يرى اية غضاضة في نشر الموسيقى الاندلسية والحانها بل انه يرجع أصول المحافظة عليها الى

---

(1) المصدر السابق .

Scanned by CamScanner

العلماء والشعراء ، ورجال الدين الذين كانوا يتناشدون المولديات والمدائح الدينية على هذه الأ وزان . ويؤيد راسم رأيه ذلك بشاهد واقعي حيث يقول :

« ويكفينا دليلا على ذلك ان الذي أدخل الالحان الموسيقية ثقيلها وخفيفها حسب القواعد الموسيقية العلمية في الاناشيد والموشحات الجديدة التي تنشد في الزوايا والافرحة الجزائرية هو الشاعر والعالم الكبير سيدي (احمد بن عمار) مفتي السادة المالكية في اوائل القرن الماضي ، وكان يشاركه في احتفالات الانشاد الائمة والفقهاء وقد سار منهم بعده على منواله مثل السيد (أحمد بن قبطان) امام الجامع الجديد ، واستاذه الشيخ (محمد بن قندورة) مفتي السادة الحنفية سابقا(1) » .

وعمر راسم حريص على ان يبقى الفن بتقاليده العربية نبلا ، ومقصدا ورسالة ، ومن هنا فهو يندد بنغمات « النواح » على حد تعبيره التي اصبحت شائعة في البلاد العربية بدعوى التطور والتفتح ، ويقارن الماضي العربي الاندلسي الزاهر بما صارت عليه الموسيقى العربية والأغاني العربية من انحطاط « خلقا وخلقا » بعد أن سارت اليها العدوى من « الاغاني

---

(1) هنا الجزائر ، ع 29 (نوفمبر 1954) .

Scanned by CamScanner

الاجنبية القطيعة » . ويعبر عن أسفه العميق لما آلت اليه هذه الموسيقى وتلك الالحان على « يد هؤلاء المفتخرين بانحطاطهم الفرحين بغرورهم .. (1).

وهكذا كان عمر راسم في كل معالجاته الفكرية ، والفنية ، الاجتماعية والسياسية ينطلق من منظور واحد لا يتغير وهو الدفاع عن الاصالة العربية الاسلامية وممن يحاول تشويهها والاعتزاز بهذا الماضي العريق الذي هو الوجه الحقيقي لامتداد حضاري عميق الجذور يشمل كل المعارف الانسانية علما ، وأدبا ، فلسفة وفنا .

5 ـــ أسلوبه :

ان الطابع العام لاسلوب عمر راسم طابع حماسي يلتهب عاطفة ويتقد غيرة ، فقد كان للكاتب نفس ثائرة على الأوضاع ، ناقمة على المجتمع الى حدود التشاؤم المقيت ، وقد اشتهر بين زملائه باسلوبه اللافح الذي لا يعرف في الحق مهادنة اومسالمة ، ولطالما اشفق منه اصدقاؤه عندما كان يصدر جريدته « ذو الفقار» والحوا عليه غير ما مرة ان يخفف من حرارة لهجته خوفا عليه الاستعمار فلم يحفل

---

(1) المصدر السابق . تجدر الاشارة الى أن راسما كتب شعرا شعبيا ينتقد فيه هذه الظاهرة ، قد نتفرغ له ذات يوم في اطار الحديث عن شعره الشعبي .

Scanned by CamScanner

بنصحهم حتى كانت قبته السجن وعاقبة جريدته المصادرة ، وهو على ما رأيناه في كتاباته السابقة دائم الميل الى الاسلوب المباشر ينقض به على خصومه انقضاض العقاب في اعتزاز وانفة .

وببدو ان مرد ذلك عنده الى عاطفته الدينية الملتهبة وغيرته الشديدة على الاسلام والمسلمين ، فنحن نجده مثلا لا يسمي المستعمر مستعمرا أو الفرنسي فرنسيا بل انه يختار له كلمة الكافر او الكافرين حتى يثير بذلك النخوة الاسلامية في القلوب ويحرك فيها الكراهية الشديدة لكل دخيل على هذه البلاد العربية الاسلامية ومنها قوله بأن الامة ستبقى «حقيرة ذليلة ، محكومة مأسورة» ما بقيت اخلاقها في انحطاط» وتلك دعوة الى تغيير الواقع المر لاتخفى .

ومن هنا نلحظ ان مقالات عمر راسم تقترب من الخطب قربا شديدا ، اذ نجد في مطاويها كل العناصر الفنية المتطلبة في الاسلوب الخطابي ، من تكرار ونداء واشارة واستفهام ، ومقاله الذي حدثنا فيه عن الحالة الاخلاقية الدينية لمسلمي الجزائر أحسن مثال لاسلوب راسم فقد كرر فيه كلمة «كيف يكون المسلم مسلما في بلد .. «اكثر من خمس مرات . وجعل هذه الجملة بداية لكل فقرة ،

Scanned by CamScanner

وافرغ المقال في قالب الاستفهام الانكاري من اوله الى آخره .

والقارىء لا يمكنه أن يخطأ الطريق الى معرفة مقالات عمر راسم ولو كانت بامضاء مستعار ، لأن شخصيته القوية المتميزة بالصراحة تكاد تكون طابعا يتميز بها أسلوبه ولا أدل على ذلك من مواقفه الصريحة تلك في وقت كان قانون (الانديجينا) يضرب فيه على كل فم ، وكنموذج لصراحته تلك نسوق الفقرة التالية التي يدين فيها سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر ... «اضرب ببصرك أيها القارىء في قلب هذه الكرة ، ترى الخلائق البشرية وقد كادت تنقلب الى وحوش ضارية مفترسة تنهش اللحم ، وسحق العظم ، ترى أن القوة هي الشريعة وهي القانون ، وهي القانون ، وكل ما أتى عن طريق هذه القوة ان كان جورًا سمي عدلا ، وإن كان زورًا سمي حقا ، وان كان غصبا سمي فتحا ، وان كان دناءة دعي براعة وقس على ذلك ... (1)»

---

(1) الامضاء باسم (كامل) الانسانية تتعذب ، الحق الوهراني ، ع 46 (1912/8/25) .

Scanned by CamScanner

والحق أن المواقف الشعورية التي تتطلب اثارة عاطفة الجماهير ينجح معها الأسلوب العارم الخطابي العارم أكثر مما ينجح معها الأسلوب الصحافي الهادىء .

على ان للاسلوب الخطابي معائبه التي لا توافق هوى كتاب المقال الصحفى الناجح فقد رأينا كيف استولى اليأس والتشاؤم على عمر راسم فدفعه الى المبالغة والتهويل والحكم العام على المجتمع الجزائري كله بالانحطاط والفساد ، لا لشيء سوى ان الكاتب أستسلم لهياج العاطفة فسيرته في هذا الاتجاه غير الصحيح .

ومع ذلك فاننا نعثر في كتابات عمر راسم على مقالة ادبية استخدم فيها أسلوبا وصفيا ونحسبه أسلوبا يرسم تطورا ملحوظا في النثر الجزائري الحديث الذي يمكن اعتباره ارهاصا لظهور الاسلوب الرومانسي في الادب الجزائري .

فقد اختار هذا الاسلوب العاطفي الوصفي الذي يعتمد «على دقة الملاحظة والتعاطف مع الموضوع المعالج ، وعلى الوصف الدقيق المعبر الذي ينقل الينا احاسيس الكاتب وصوره الطيعة كما تنعكس في مرآة نفسه بصدق واخلاص (1)» .

---

(1) انظر محمد يوسف نجم ، فن المقالة ، ص ، 114 بتصرف .

Scanned by CamScanner

ففي مقال لراسم نجده يصف يتيما بائسا ويعرض في مقاله هذا بالاغنياء الذين يقبضون ايديهم عن إعانة الفقراء . واذا كان المقال في اصله ترجمة لمقال الكاتب الاسباني فرنسيسكو فيرير . الكاتب الثائر المعروف ، فان راسم استطاع ان يصوغه بأسلوب عربي مبين ، مجسما الاحساس الأنساني من خلال الوصف التصويري وقد وفق في ذلك الى حد بعيد

يقول المقال :

فديته ذا العينين الزرقاوين ، والشعر الذهبي المنسدل على المنكبين والوجه الأبيض الياسميني ، وقميص الفقر البالي والقدمين العاريتين ، نفسي فداء هذا الجالس في غرفتي ، اليتيم الابوين المسكين الذي يعيش من تصدق الناس عليه بكسرة من الخبز . »

اما عمر راسم الذي كانت له عناية خاصة بكتاب الله حفظا ، وتفسيرا ، فانه كثيرا ما ضمن آيات القرآن مقالاته ولاسيما تلك التي يصف فيها حال المسلمين وما هم عليه من تقهقر وخذلان ، ويستخدم من القرآن ما يجسد فكرته ، ويؤيد موقفه .

Scanned by CamScanner

ولنأخذ لهذا الاتجاه الفقرة التالية التي يصف فيها مصير المسلمين ، وكيف انقلب عزهم ذلا ، وصار اتحادهم تخاذلا ، وبعد أن يقارن هذا الموقف بما كان عليه حال المسلمين الاوائل ، وما كانوا عليه من قوة وعظمة ينتقل الى الحديث عن مسلمي اليوم قائلا :

«ثم خلف من بعدهم خلف طال بهم أمد المجد فترفعوا عن العمل وركنوا الى سكون الترف ودواعيه من الجبن واللهو فتراجعوا الى الوراء ، وساد فيهم شرارهم فنسجوا على منوالهم ، وجهلوا فظلموا وتنازعوا ففشلوا ، واسرفوا فاعوزوا وذهبت ريحهم ، وآلت دولهم الى مخالفيهم ، فاستعبدوهم وما انصفوهم انصافهم اياهم ، واصبحوا يستغيثون ربهم ، ليمدهم بمن يسير بهم سيرة نبيهم فيرد الفتهم وقوتهم ، فيصلحوا ما افسدوا ويردوا ما فقدوا من ارضهم وسلطانهم ، وعسى ان يكون قريبا ، ورب ضارة نافعة» (1) .

فذلك هو عمر راسم ، المصلح الثائر الذي استطاع ان يوازن بين نظرياته الاصلاحية وأفكاره الثورية موازنة موقفه ، وجسد فيما أنتجه ذلك الازدواج المفيد بين الثقافة العربية الاسلامية الاصيلة ، والثقافة الاجنبية المتفتحة ،

---

(1) الحق الوهراني ، ع 38 ، (1912/6/29) .

Scanned by CamScanner

ولم يغب عن باله قط ان لايصدر في كل ما كتب الا عن أصالته ، وعيا وقناعة ، فكانت الجزائر ، والعروبة ، والاسلام ، وكل ما يلتحم بهذه القيم الثلاث من معاني سامية . هدفه الذي كافح عنه ، ودعا اليه . وجاءت هذه الروح قوية ثابتة في كل الموضوعات التي عالجها بقلمه ، واقع اللغة العربية في الجزائر .. التفرنس وخطره على مستقبل الوطن .. محاربة الآفات الخلقية مقاومة الاستعمار وكشف مخططاته .. المحافظة على التراث الموسيقي الجزائري وتطويره .. العناية بالزخرفة والخط العربي الاسلامي ، الى آخر هذه الموضوعات التي كانت تشغل باله طيلة نصف قرن من الانتاج والابداع المتواصلين .

ومن هنا نستطيع القول بأن عمر راسم كان من رواد الفكر الاصلاحي في الجزائر أعطاها من حرارة قلبه وثبات ايمانه ذلك الصدق وتلك الحرارة التي غدت الطابع الذي تميز كتابات راسم ، ومن هنا أيضا نتأكد بأن الاصلاح والثورة في الجزائر ، كانت لهما جذورهما المتينة التي ضربت الى ما قبل الحرب العالمية الأولى . وان هذه الجذور كانت تتدفق فيها الدماء من مهج رجال صدقوا ما عاهدا الله عليه .

Scanned by CamScanner

محتوى الكتاب

Scanned by CamScanner

طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية ــ 1984

Scanned by CamScanner



عناوين في هذه السلسلة

عمر راسم

ابو اليقظان

البشير الابراهيمي

رضا حوحو

وعناوين أخرى

منشورات وزارة الثقافة والسياحة

مديرية الدراسات التاريخية واحياء التراث: الجزائر

Scanned by CamScanner